الحيوان

في كتاب الإمتاع والمؤانسة

للاب انستاس ماري الكرملي

١ — تمهيد

نشر الاديبان الكبيران أحمد بك أمين وأحمد افندي الزين (كتاب الإمتاع والمؤانسة) لأبي حيّان التوحيدي، فأدهشا كل من وقف على هذا الجزء الاول من هذا السفر الجليل. فقد صحّحا أغلاطاً جمّة صدرت من قلم الناسخ او من يراع النسّاخ، وكان يصعب على أي عالم ردُّها الى أصولها الحقيقية، وتصحيحها تصحيحاً معقولاً مقبولاً. ولا جرم ان هذين العالمين الفاضلين بل المذهّبين خدما اللغة والأدب وخلّدا اسم المؤلف تخليداً لا ينكر، واستحقّا شكر جميع الناطقين بالضاد

وقد أفاد الاستاذ الكبير والعلاّمة الشهير محمد كرد علي، طائفة غير يسيرة من تلك الأوهام الى أصولها التي وضعت عليها، فعرف قدره الناشران الكبيران وشكرا لهُ عملهُ هذا. ومع ذلك فقد بقي ثمّ أوهام لم يوفق الناشران ولا الاستاذ كرد علي لردها الى أنصبتها فجئنا نحاول تصحيحها بما بدا لنا. ونقسم هذه الطفرات الى فصول وهي: فصل الحيوان، وفصل الاعلام، وفصل رسم الحروف، وفصل الصرفيات والنحويات، وفصل اللغويات. فنقول:

٢ — فصل الحيوان

اليَعْمر او اليَعمَرا (يعرو)

جاء في ١ : ١٤٤ : ١٣ ما هذا نصّه : ... ومن يعروا. وهي دابة بخراسان تسمن على التعب والشقاء. وجاء في الحاشية تعليقاً على (يعرو ا... كذا ورد اسم هذه الدابة في الاصل. ولم نجد فيما بين أيدينا من الكتب ما يعنى

قلنا: هذه الكلمة مصحفة تصحيفاً قبيحاً، وصحيحها (اليَعْمَر). وهو مشاة من تحت مفتوحة، يليها غين معجمة ساكنة، فراء. وهي كلمة تركيّة الأصل وقد نقلها عنا الفرنسيون بلفظهم هذا Yack أو Yak والانكليز بلفظهم هذا. وقد نقلها العرب أيضاً الى

صورة (يَـعْـر) بعين مهملة في مكان الغين المعجمة . قال الدميري في مادة (ي ع ر) : « اليعر دابة تكون بخراسان تسمن على الكدّ . وقيل : هي بالغين المعجمة . قالوا في أمثالهم : أسمن من يَـغْـر . ذكرهُ حمزة وغيرهُ . » انتهى كلام الدميري

ونقل البستاني في محيط المحيط في يعر... ودابة تكون بخراسان[1]، تسمن على الكدّ وقيل : هي بالغين المعجمة . قالوا في أمثالهم : أسمن من يَـغْـر » اه

وقلنا : ان الفرنسيين والانكليز نقلوا لفظهم عن العرب لأنهم اتصلوا بالعرب قبل ان يتصلوا بأهل التُبَّت ، أو أهل خراسان . ولأنهم لو نقلوا لفظهم مباشرة عن واضعي اللفظة لذكروها كما ينطق بها أهلها ، وقالوا Gyag مثلهم ، لكنهم قالوا Yak وهو (يَـغـر) العربية بحذف الراء الاخيرة ، إذ قليلاً ما تخفى على السامع عند نطق الغير بها[2] . أما ان صحة الحرف العربي هو بالغين المعجمة الساكنة،لا بالعين المهملة ، فهو لان الكلمة في اللغة التُبَّتية خالية من العين المهملة ، إذ ليس هذا الحرف في تلك اللغة ، بل ما يقرب من الغين المعجمة وكثيراً ما تُنقل هذه الجيم اي G إلى الغين المعجمة . وأمثلة ذلك كثيرة حتى في لغتنا الضادية في نقل سلفنا الالفاظ التي فيها الحرف G ، ودونك بعض الشواهد : جغرافية هي Geographia ، وايساغوجي هي Eisagogé ، واواغي هي Agôgos ، واغانوجي هي gallokhon وغرنوق هي Geranos . والأمثلة لا تكاد تُحصى لكثرتها

واسم اليعر بلسان العلماء Poëphagus Grunniens او Bos وأكثر ما يكون هذا الحيوان في التبت وخراسان وما جاور تلك الأصقاع من البلاد المرتفعة من آسية الوسطى . واللون الغالب عليه الاسمر الغارب الى السواد . فهو جاموس ضخم بذنب الفرس ووافر الشعر

٣ — التِـنِّـين

جاء ذكر التنين في (١ : ١٦٥ : ١٨) في قوله : « العُـقاب والتِـنِّـين يتقاتلان . والعقاب تأكل الحيّات حيثما وَجدَتها ». وكان يحسن بالناشرين ان يشرحا معنى التنين . فلهذا اللفظ معانٍ عدة ، والمراد به هنا كبير الحيّات

٤ — الأيَّـل والأيائل

وجاءت الإيّـل والأيلة مضبوطتين بضم الهمزة ، وتشديد الياء المفتوحة (في ص ١٦٧ : ١٧٠ : ١٧٢ ، ١٨٥) وهي احدى لغاته الثلاث ، وهي كقنّب ، وخلّيب ، ومِيد . والذي صرح به اللغويون ما هذا لفظه : « أبو عبيد : هو الإيّـل [كقنّب] والأيّـل [كحُـدَّب] ،

---

(١) كذا في الاصل . ولا أثر لهذه الواو والصواب حذفها (٢) ذكر في لغة العرب في تسمية هذا الحيوان (٦ : ٢٢٧) اليعمور وأنثاها يعفور ويعفورة والقطاس . ولم يعثر بهذه اللفظة

والوجه الكسر» (عن المخصص ٨ : ٣٢) . فاذا كان الوجه هو كقنّب لا كخُلّب، فلماذا تتطلب في كلامنا الثقيل الذي تنوء به الجبال، وتترك الخفيف الكثير الاستعمال، وهو ما ينطق به العراقيون حتى عوامهم؟ وجاءت الايائل جمع الايل مذكورة بصورة الايايل بياءين في ص ١٦٦ وغيرها . والذي صرّح به الفصحاء انهُ بهمزة قبل اللام وبياء بين الالفين

٥ — التُذْرُج

ضبطت التُذرُج في الكتاب بدال مهملة وزان هُدْهد . والصواب انها بذال معجمة، كما ذكرها الدميري وبضمتين . واما بالمهملة فمن اغلاط محيط المحيط ومن أخذ إخذه

٦ — الحِرْذَوْن

جاء في ص ١٧٤ : « الحرذون » تفسيره بالعربية « الذي يخرج من الزعفران » . قال الناشران : « لم نجد في كتب اللغة التي بين ايدينا ما يفيد ان لفظ الحرذون غير عربي، ولا أن تفسيره بالعربية ما ذكره المؤلف، كما اننا لم نجد ذلك فيما بين أيدينا من الكتب المؤلفة في الحيوان » انتهى

قلنا . الحرذون، زنة كِدَيْوْن وبرذَوْن، إرمية، معناها في أصل وضعها « الخائف » اي ارعديد الكثير الخوف . وهذا الحيوان مشهور بذلك . وقد جاء في طائفة من كتب الباحثين في علم الحيوان . قال الجاحظ في كتاب الحيوان (٦ : ١٧) من طبعة السامرّي : «والحرذون، دويبة تشبه الحرباء تكون بناحية مصر، وما والاها وهي دويبة مليحة، موشاة بألوان ونقط ... »

وقال الدميري في كلامه على الورل : « الجاحظ يقول : ان الحرذون غير الورل ووصفه بأنه دابة تكون غالباً بناحية مصر ؛ مليحة وموشاة بألوان كثيرة، ولها كف ككف الانسان، مقسومة أصابعها الى الانامل . وهو يقوى على الحيات ويأكلها أكلاً ذريعاً، ويخرجها من جحرها . ويسكن فيه، وهو أظلم ظالم » انتهى

وقال السيوطي في المزهر (١ : ٢٥٩ من طبعة بولاق) : « وحِرذَون . دابة أو سبع (كذا) بالذال والدال » اهـ . وأرباب المعاجم الارمية العربية ذكرت الحرذون بالذال المعجمة والمهملة وأفضت في وصفه وخلقته . فلا حاجة الى الاطالة في هذا الموضوع المشهور . بيد أنه يحسن بنا ان نورد فيه مصطلحه العلمي : البحري أو النيلي والبري أو الارضي فاسم النيلي بلسان العرب Hardunus Niloticus وبالفرنسية Hardun du Nil والثاني Hardun Terrestris وبالفرنسية Hardun Terrestre . وكنا قد اتبعنا في المعجم الطبي مترسماً آثار أسلافنا الارمين

وعليه فقول الناشرين في الحاشية ٢ من ص ١٦٦ «وقيل [الحرذون] ذكر الضب » خطأ فالواحد غير الآخر

٧ — القبج : الكروان خطأ

جاء في الحاشية الثانية ص ١٦١ هاتان الكلمتان وهما : «القبج : الكِبِرّوان » وفيهما ثلاثة أغلاط : الأول ان القبج غير الكروان . الثاني ان القبج مفرد ، والكِبِرّوان بكسر الاول كما ضبطها الناشران جمع ، ففسرا مفرداً بجمع . الثالث : ان صواب الضبط للمفرد هو بالتحريك ، لا بالكسر ، كما ورد في الحاشية ، وليس بالفتح كما جاء في القاموس للمجد الفيروزابادي . فالقبج هو الحجل وهو بالفرنسية Perdrix وبلسان العلم Perdix وأما الكروان فاسمه بالفرنسية Courlis, Corlis, Courlieu وبلسان العلم Numenius

ووصفه صاحب نهاية الارب في ١٠ : ٢٨٥ بقوله : «والكروان : طائر من طبعه وعادته الطيران في الليل ، والادلاج والصياح بالأسحار ، والاشراف على مواضع العساكر. ويوصف بالحمق . ومن حمقه انهُ يقال لهُ : اطرق كَرَا . فيلصق بالارض حتى يُرمى . وتقول العرب : اطرق كرا ، اطرق كراء ان النعامة في القُرَى»

٨ — التمساح في الرسيس

وجاء في ص ١٧٤ : « التمساح لا يكون الاّ في النيل ونهر بأرض الهند ، يقال له : الرّسيس ، وبيض كبيض الاوز » انتهى . قلنا : لا نعرف نهراً في الهند باسم الرسيس يكون فيه التمساح . والذي نعرفه ان الذي فيه هذا الوحش المائي هو نهر (مِهران) بكسر الميم . قال ياقوت في هذه المادة : « مهران . . . نهر كبير عذب جدًّا . ويقال إن فيه تماسيح مثل ما في النيل ، وهو مثله في الكبر ، وجريه مثل جريه ، ويقع على وجه الارض ، ثم ينضب فيزرع عليه ما يزرع بأرض مصر » انتهى

ويرى أيضاً التمساح في الكنج ونواحيه نادرة من أنهر الهند ايضاً . ويسمى التمساح الهندي اليوم (gavial) بلسان الافرنج ويقول علماؤهم ان الكلمة هندية . وعندنا انها ان كانت هندية فهي من أصل عربي ومن أصلها (جَسّار) أي التمساح الجبار بمعنى الكبير ، والتبادل بين الاحرف المتقاربة المخارج أمر معروف

أما من أين جي بالرّسيس ؟ فهي عندنا تصغير (الرسّ) والرس هذا وادي اذربيجان ، فتصغره العرب تحقيراً لتهويله ، كأنه يشيرون الى ان نهر مهران او نهر السند كبير وبه شدة جري ، كما في الرس ، فلا عجب بعد ذلك وجود التمساح فيه

٩ — البوس سمكة

وورد في ص ١٧٤ هذه العبارة : «في البحر حوت يقال له : البوس ، يتولد من الصاعقة اذا كانت في البحر ، وان وُضع ذلك الحوت بين اثنين فأكلا منهُ ، تحابّا ولا يعقد أحد على صاحبه ، ويتآخيان أحسن الاخاء»

ما هذا الحوت ، وفي أي كتاب ورد اسمهُ ، وفي أي لغة هو ؟ هذه اسئلة لم يجب الناشران عنها بكلمة واحدة . فما هذا السمك يا تُرى ؟ قلنا : هذه الكلمة هي باليونانية اسم حوت كثير الوجود في بحر الروم ، وهي كالبوس مبنى ومعنى أي Boûps وبلغة العلماء Boops وبالفرنسية Bogue وطعمهُ لذيذ ، يحرص على أكلهِ العارفون بأنواع السمك ، وكثيراً ما يدعو الرجل أصحابه وأقاربهُ الى مقاسمتهم اياه اكله . والى هذا يشير المؤلف حين يقول : « ولان وُضع ذلك الحوت ... »

١٠ — الموفى سمك

ومن السمك الذي لم يذكره العلماء في كتبهم الباحثة عن الحيوان (الموفى) قال المؤلف في ص ١٧٦ : « في البحر حوت يقال لهُ : موفى ، ضعيف الجسد ، قليل القوة ، اذا جاع خرج الى الشاطئ ، فاستلقى على الرمل ، فأقام شوكة في رأسه ، فاذا نظر اليهِ حوت آخر جاء مسرعاً ليأكلهُ : يظن انهُ ميت ، فيُدخل بطنه تلك الشوكة فيقتله بها ويأكله .

« واذا التقى الملاح صنارتهُ ، ولقيت ذلك الحوت ، رمى مكانه بتلك الشوكة الحادة يدَ الملاّح فتخدر ويطرح أداة صيده ... »

قلنا الموفي اسم فاعل من أوفى ومعناه الذي يدفع بصاحبه الى وفاء نحبه ، اي الى اجله ووفاته ، او بعبارة اخرى ، الى الفتك به . وهذا الفتك لا يكون الاّ بهذه الشوكة . واسم السمكة بالفرنسية Aiguillat (ذو المخيط) وبلسان العلماء Spinax Acanthias وهو ضرب من الحوت حفي الجسم الشائك ، يتخذ من كبده دهن يستعمل لتطرية الجلود وتقويتها ، وينسب اليهِ منافع لدفع آلام المفاصل ، وجلده جاسٍ ويتخذ مفنّاً[1] ولزعنفته الاولى التي على ظهره شوكة صلبة . وبها تفتك باعدائها وتوردها حياض الموت

١١ — جند بادستر لا درياست

ومن غريب ما صحف النساخ من هذا الكتاب الجند باستر فقد صحّف (درياست) التي خلقتها خلقة كلمة فرنسية لكنها ليست من تلك اللغة . فقد قال المؤلف في ص ١٨٠ : « دابة يقال لها بالفارسية (درياست) اذا طلبة القانص استلقى ظهره وأراه انهُ لا خصية له ، كأنهُ قد عزم ما يتلف منهُ » اه

(١) كل قطعة من جلد خشن يحت به ، أو يصقل به ، حتى يذهب ما في الجلد من الزوائد أو الخشونة

وتحرير الخبر ما ذكره الدميري قال : الجندبادستر : حيوان كهيئة الكلب، ويسمى السمور[1] ايضاً . وهو على هيئة الثعلب ، احمر اللون ، ليس لهُ يدان وله رجلان ... وله اربع خصيات ، اثنتان ظاهرتان ، واثنتان باطنتان . ومن شأنه انهُ اذا رأى الصيادين له لاخذ الجندبادستر وهو الموجود في خصيتيه البارزتين هرب ، فاذا جدُّوا في طلبه قطعهما بفيه ورمى بهما اليهم، إذ لا حاجة لهم إلاَّ بهما . فاذا لم يبصرهما الصيادون ، ودأموا في طلبه ، استلقى على ظهره حتى يريهم الدم ، فيعلمون انهُ قطعهما فينصرفون عنهُ . وهو اذا قطع الظاهرتين ، أبرز الباطنتين عوضاً عنهما وفي باطن الخصية شبه الدم او العسل زعم الرائحة مريع التمرك اذا جفَّ ...»

١٢ — السمندل وحقيقتهُ

ذكر المؤلف في كتابه السمندل وقال عليهِ إنهُ دابة لا تخاف النار (ص ١٨٢) وذكر الناشر ان في الحاشية انهُ «دون الثعلب...وقيل : طائر» فاعسى ان تكون هذه الدابة ؟ قلنا : اننا كنا قد أدرجنا مقالة في مجلة المشرق اليسوعية (٦ [١٩٠٣] ص ٩ — ١٥) أي قبل نحو ٣٩ سنة وبيَّنا حقيقة هذه الدويبة ، وذكرنا ان الكلمة يونانية الاصل من Salamandra وقد أقر فقهاء يونان وفارس انها يونانية الوضع . ومن غريب الاتفاق انها بهذه الوضع تشبه لفظاً فارسيًّا هو سمندر و(سام) معناه نار و(ز اندرون) اي داخل[2] كانهُ يشير الى دخوله في النار. وبيَّنا ان السلف أطلق هذا الاسم على كل ما لا يحترق ، أو لا يحترق سريعاً ، أو يحترق ثم يعود الى النشور فصار للسمندل ثلاثة معان

الاول : ضرب من العظاءة هو المسمى بلسان العلم Salamandra

والثاني : تلك المادة التي تشتعل باشتعال الفتيلة . وقد سماها بعضهم حجر الفتيلة وهي مخاط الشيطان وغزل السعالي في كلام أبي الريحان (راجع نخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الاكفاني ص ١٢٣ الى ١٢٥ من المطبوع في مصر سنة ١٩٣٩) وبالفرنسية Asbeste أو Amiante . وأما الطائر فهو (الققنس) وكان يجب أن يقال القَنِيقَس أي Phoinix كما في الأصل اليوناني ، لكن السلف لم ينطقوا به . وهذا هو معناه الثالث

أما المقصود من كلام أبي حيان في هذه الليلة فهو هذه العظاءة دون غيرها . وأما أن السمندل هو «دابة دون الثعلب خلقية اللون ، حمراء العين ، ذات ذنب طويل » فلا حقيقة له

(البحث بقية)

(١) المشهور عند العلماء المحققين ان السمور غير الجندبادستر . وان كانت المرأة تتخذ من كليهما فروة فتلبسها المرأة لا يوجد اجنبي ولا تجعلهما شيئاً مستقلاً ، دون غيرهما

(٢) اول من ذهب الى هذا الرأي محمد حسين التبريزي الخيدر ابادي ، صاحب المعجم المسمى (برهان قاطع) في مادة (سمندر) وبرهن [illegible] وشرحه [illegible] في هذه [illegible] قاله ابن الركة احمد ضياء الدين وقد سماه (تبيين قاطع لبرهان ساطع) وطبع في بومباي ١٣